الفصل التاسع

الصحافة المصرية والمقاومة الفلسطينية خلال الحقبة الساداتية ١٩٧١-١٩٨١

رغم المحن التى كانت تمر بها المقاومة الفلسطينية إلا أن عامى ١٩٧٠ و١٩٧١ شهد أعمالا فدائية كثيرة موجهة ضد اسرائيل علاوة على انتفاضات الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة .. ورغم الضعف النسبى الذى أصاب حركة المقاومة فى الضفة الغربية نتيجة المؤامرة "أيلول الأسود" وما تلاها من صدام مستمر متقطع من السلطة الأردنية والمنظمات الفدائية .. فإن الرد العملى والشعبى تمثل فى تصاعد لافت للنظر لحركة المقاومة فى قطاع غزة ليؤكد ظاهرة استمرار النضال ضد الاحتلال .. وقد اهتمت الصحف المصرية بتتبع ومناقشة تلك الظاهرة الايجابية الهامة باعتبار أنها الدليل العملى على صمود وبقاء المقاومة..

فقد أشارت الأهرام إلى "اشتباك بين المقاومة ودورية اسرائيلية" فى الجليل الأعلى. وتم ذلك عن طريق الأراضى اللبنانية و"قنابل ومظاهرات بغزة فى ذكرى وعدة بلفور[١]". "ثلاثة انفجارات فى غزة واصابة ٧ أشخاص". "اسرائيل تعتقل ١٢٨ عربيا خلال ساعات من انفجار تل أبيب" "قوات اسرائيل تطلق النار على المتظاهرين فى غزة"[٢]

وتتوالى أنباء المقاومة على صفحات الأهرام: نسف قطار اسرائيلى على طريق القدس[٣]،، السلطات الاسرائيلية تفرض حظر التجول فى قطاع غزة المحتل ...،، انفجار قنبلة يدوية فى دورية للعدو فى غزة و "اصابة فتاة فى غزة برصاص دورية اسرائيلية" "موجة من الأنفجارات فى غزة ... الخ،، و"تزايد المقاومة فى غزة،[٤].

وقد علقت الأهرام على استمرار عمليات المقاومة فذكرت "دلالة زيادة المقاومة فى الأرض المحتلة .. وستستمر المقاومة فى نشاطها إلى أن تخضع اسرائيل بضرورة ايجاد حل ليقرر الشعب الفلسطينى مصيره ووجوده القومى المشروع وفق قرار الأمم

المتحدة[٥]" وتواصل الأهرام "اضراب عام فى يوم ملىء بالهجمات بالقنابل فى غـزة" كما تنشر الأهرام اجراءات اسرائيل التعسفية ضد أهالى قطاع غزة وتعلق عليها فـى نفس العدد "رأى الأهرام" فتقول "إن الارهاب الذى فرضته اسرائيل على غزة واعتقال المئات من الشباب العربى .. الخ، كل هذا لـم يمـنعهم مـن مواصـلة المـشاركة والاضراب، مما يدل على أن المقاومة العربية فى الأرض المحتلة لايمكن اخمادهـا وان استقرار السلطة الاسرائيلية فى هذه المناطق أمر مستحيل"[٦].

وفى ١/٢٥ " المقاومة تنسف مبنى فى عملية جرئية داخل تل أبيب (اسرائيل).

وفى ١٩٧١/٢/١١: محاكمة تلميذة فى غزة عمرها ١٦ سنة بتهمة قذف الحجارة على القوات الاسرائيلية أثناء سيرها.

وفى ١٩٧١/٣/٩: قصف مستعمرة ضمن عمليات للمقاومة، وفى نفـس العـدد "حرائق غامضة فى تل أبيب تشتعل فى عدة مصانع.

وفى يوم ٣/١٠: "المقاومة تجدد هجماتها فى المرتفعات السورية المحتلة".

وفى يوم ٣/٣١: "نسف بنك اسرائيلى فى خان يونس، وتواصل الأهرام متابعتها لعمليات المقاومة فتشير إلى "قصف مستعمرتين فى منطقة الجليـل الأعلـى بقـذائف البازوكا.

وفى يوم ٤/٢٦: "اسرائيل تهدد لبنان بسبب تزايد نشاط المقاومة فى الجليل"[٧].

ثم تشير إلى القاء قنبلة فى غزة على دورية اسرائيلية[٨] وإن "المقاومة تهاجم فى غزة اتوبيسا اسرائيليا"[٩]

وفى ٩ يوليو ١٩٧١ نشرت الأهرام أخبار مانشيت الصفحة الأولى "انفجارات تل أبيب وقصف (بتاح تكف) بالصواريخ وهى أول مستعمرة صهيونية يؤسسها اليهـود الأوائل فى فلسطين .. وعلق "رأى الأهرام" بأن الصواريخ العربية التى أصابت تـل أبيب تأكيد لاسرائيل أن تجميد الموقف على ماهو عليه أمر مستحيل المنال. كما تأتى

تلك الانفجارات فى وقت يعقد فيه المجلس الوطنى الفلسطينى الذى يعتبر رمزا حقيقيا على أن المقاومة لم تنطفىء شعلتها وأن كل محاولة للنيل منها تأتى بالعكس.

كما أولت الأخبار نشاط المقاومة فى الأراضى المحتلة الاهتمام نفسه. فعلى سبيل المثال أشارت إلى أن "القدس تستيقظ على انفجارات جديدة مدمرة بعد يومين من ضرب بتاح تكفا بالصواريخ[١٠]". كما ذكرت أن الذعر يجتاح اسرائيل بعد ضرب الفدائيين لتل أبيب بالصواريخ، و٣٢٠ قتيلا وجريحا حسب تقدير اسرائيل .. فرض حظر التجول فى الضفة الغربية ...،[١١]

ويلاحظ أن الصحف المصرية قد تتبعت باهتمام بالغ نشاط المقاومة المتزايد فى الأرض المحتلة خاصة قطاع غزة ..

- من الملاحظ ان الصحف كانت تعبر عن الهجمات أو القائمين بها كثيرا بلفظ (العرب أو العربية) ويعكس ذلك الشعور بالحاجة إلى نسب تلك المقاومة إلى الشعب العربى والعرب بشكل عام لاضفاء روح المقاومة عليهم جميعا فى وقت سكتت فهى الأنظمة العربية وعاشت شعوبها – ومنها الشعب المصرى – تحت وطأة الاحساس بالصمت والجمود.
- أظهرت الصحف تعاطفا شديدا تجاه مقاومة السكان فى قطاع غزة والأرض المحتلة ككل..
- تناولت الصحف بالتعليق والرأى تزايد المقاومة كظاهرة هامة وايجابية ترد على محاولات تصفية المقاومة خاصة من قبل الأردن.
- تميزت معالجة الأخبار بطابع أكثر إثارة .. من الأهرام التى التزمت المحافظة نسبيا.

وعلى المستوى الدولى تابعت الصحف قضية الأزمة الحالية التى تمر بها وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة، ففى ١٩٧٠/١٢/٣ على سبيل المثال أشارت الصحف المصرية إلى أن وكالة غوث اللاجئين تواجه عجزا رغم زيادة ميزانيتها. كما اهتمت الصحف بقرارات الأمم المتحدة (الجمعية العامة) التى تدين

العدوان الصهيونى. وعلى سبيل المثال نشرت الأهرام (فى ١٩٧٠/١٢/٣) "قرار بمعاملة المناضلين من رجال المقاومة كأسرى حرب .. أقرت ذلك اللجنة الاجتماعية التابعة للأمم المتحدة". كما درجت المقالات والتعليقات على التأكيد على عزلة اسرائيل دوليا وعدم احترامها لمواثيق الأمم المتحدة، ودارت حول قرار ٢٤٢ .. كما انتقدت الموقف الأمريكى المؤيد للصهيونية والعدوان والمتناقض مع ميثاق الأمم المتحدة وقرارتها الدولية.

كما تابعت الصحف تطورات الأزمة الأردنية الفلسطينية صعودا وهبوطا وإن كانت قد اخذت موقفا أكثر وضوحا وتشددا تجاه الأردن لتماديها فى المؤامرة بشكل جلى.

ونشرت أخبار الوحدة بين المنظمات الفلسطينية ثم انشقاق جبهة التحرير الشعبية والجبهة الديمقراطية.

نشرت الأهرام فى ١٧ مايو ١٩٧١ أى بعد أحداث ١٥ مايو فى القاهرة "تأييد للرئيس السادات من الشعب الفلسطينى وقيادته. ولا تخفى دلالة ذلك الخبر فى هذا الوقت بالذات. أى أن النظام حاول استخدام السمعة الطيبة للشعب الفلسطينى والتعاطف الشعبى بمصر الموجه للفلسطينيين فى معركة داخلية..

ثامنا : حادث ميونيخ :

نشرت الأهرام فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٧٣ فى صفحتها الأولى وباهتمام كبير خبر هجوم الفدائيين الفلسطينيين على البعثة الرياضية الاسرائيلية فى القرية الأوليمبية و"مصرع ٢ من الاسرائيلين أثناء الهجوم ووضع الباقين رهينة حتى تفرج اسرائيل عن ٢٣٠ فدائيا". وفى عموده اليومى كتب على حمدى الجمال يدافع عن الفدائيين الفلسطينيين ويطالب بالتروى قبل الهجوم عليهم لأنهم "ليسوا هواة قتل بل انهم واقعون تحت الضغوط التى يفرضها العدو الاسرائيلى فى فلسطين ..." ثم نشرت الأهرام فى صفحتها الأولى صورة الفدائيين الثلاثة الذين اعتقلوا عقب الحادث بالمانيا ونشرت خبرا عنوانه "المخابرات الاسرائيلية أشرفت على إعداد الكمين للفدائيين[١٢]" ثم كتب

احسان بكر مقالا بعنوان "ميونيخ وحرب الأعماق بين الفلسطينيين واسرائيل" يقول فيه إن حادث ميونيخ يعتبر مرحلة جديدة فى العمل الفدائى ويقول أن حرب الاستنزاف ضد الفلسطينيين قد بدأت أيضا بعد ميونيخ(١٣).

أما الأخبار فقد نشرت تفاصيل الحادث. وكان رأى الأخبار فى حادث ميونيخ أنه "أيا كانت الخلافات فى وجهات النظر حول الأسلوب الذى استخدمه الفدائيون الفلسطينيون فى هجوم ميونيخ ضمن كفاحهم ضد العدو الاسرائيلى ومصالحه فى كل مكان، فإن هذا الخلاف لا ينبغى أن يحول أنظار الرأى العام العالمى عن الحقيقة الأساسية. وهى أن استخدام الفلسطينيين للعنف هو نتيجة مباشرة أو بالأحرى النتيجة الوحيدة التى كان لابد أن تترتب على الجريمة التى كان ضحيتها الشعب الفلسطينى. وهى جريمة كانت منذ البداية ملطخة بدم الفلسطينيين" واتهم المقال البوليس الألمانى بأنه السبب فى قتل الرهائن ... ومن الجدير بالذكر أن المتحدث الرسمى وصف تصرف حكومة ألمانيا الاتحادية ازاء حادث ميونيخ بأنه "تصرف غير سليم لايتسم بالحكمة وإن حكومة المانيا الاتحادية تتحمل نتائج هذا الحادث وعليها وحدها تقع المسئولية كاملة، وإنه كان من الواجب على هذه الحكومة أن تحترم تعهداتها مع الفدائيين وأن تتحمل تبعتها بدلا من أن توزع الاتهامات ضد مصر والعرب"(١٤).

وقد اهتمت الأخبار بهذا الحادث وعلقت عليه كثيرا سواء فى رأى الأخبار الرسمى، كلمة اليوم، أو من خلال بعض كتابها الكبار ومنهم أنيس منصور وفيليب جلاب(١٥).

الخلاصة

لقد تبنت الصحافة المصرية وجهة النظر المدافعة عن الفدائيين الفلسطينين باعتبار أن مافعلوه حق مشروع لهم، لمواجهة الارهاب الصهيونى الذى ينكل بالفدائيين العرب فى السجون الاسرائيلية. وحرصت الصحف المصرية الثلاثة على ابراز هذه الحقائق:

١- أن النفوذ الصهيونى المتزايد فى المانيا عامل ضغط على الحكومة الالمانية.

٢- أن المسئولية المباشرة فى الحادث تقع على عاتق السلطات الالمانية التى خدعت الفدائيين وخضعت لاوامر المخابرات الاسرائيلية.

٣- المانيا واسرائيل معاديتان وفى دائرة النفوذ الامريكى تحت تخطيط حلف الاطلنطى.

٤- إن حل القضية الفلسطينية هو الكفيل بالقضاء على اى عمليات مماثلة وبذلك فإن ممارسات اسرائيل داخل الأراضى الفلسطينية هى السبب الرئيسى والحقيقى فى الحادث.

تاسعا: عمليات المقاومة أثناء حرب أكتوبر:

تابعت الصحف المصرية اليوميه الثلاث على مدار شهر أكتوبر بأكمله العمليات العسكرية التى قامت بها المقاومة الفلسطينية .. وتراوح موقع الأخبار التى تتحدث عن نشاط المقاومة بين الصفحة الأولى والصفحات الداخلية. وقد نشرت الأهرام خلال شهر أكتوبر الأخبار الآتية عن المقاومة الفلسطينية.

م	موقع الخبر	تاريخ النشر	مضمون الخبر
١	الصفحة الخامسة	٨أكتوبر ١٩٧٣	نشاط المقاومة خلف خطوط اسرائيل وبيان عرفات يدعو إلى ضرب جميع الأهداف الاسرائيلية.
٢	الصفحة الثانية	١١- أكتوبر	هجوم يشنه الفدائيون فى الجليل.
٣	الصفحة الثانية	١٢ – أكتوبر	هجوم فدائى على قرية مطلة على الحدود الاسرائيلية اللبنانية.
٤	الصفحة الثانية	١٣ – أكتوبر	هجوم فدائى على ٩ مستعمرات اسرائيلية واسقاط فانتوم اسرائيلية.
٥	الصفحة الأولى	١٤- أكتوبر	اشتباك للمقاومة مع القوات الاسرائيلية وتصاعد النشاط الفدائى.
٦	الصفحة الأولى	١٨ –أكتوبر	قصف المقاومة ل٤ مستعمرات اسرائيلية بالصواريخ.
٧	الصفحة الأولى	٢٠- أكتوبر	قصف المقاومة لأهداف اسرائيلية فى الجليل.
٨	الصفحة الثانية	٢٨ – أكتوبر	استمرار هجمات المقاومة ضد اسرائيل.

وبالإضافة إلى هذه الأخبار المباشرة عن النشاط الفدائى فقد نشرت الأهرام خبرا آخر يدل على عنف هذه المقاومة يوم ١٩ أكتوبر. ومضمون الخبر أن اسرائيل قدمت شكوى للأمم المتحدة بسبب تصاعد نشاط المقاومة.

أما الأخبار فقد تابعت العمليات العسكرية للمقاومة أيضا .. ولكن بصورة أقل من ناحية العدد والإبراز ولكنها فى ١٩ أكتوبر نشرت فى صفحتها الأولى خبرا عن "١٠٧ عمليات للفدائيين فى اسرائيل" أشارت فيه إلى اشتداد العمليات الفدائية بين يومى ١٢، ١٦ أكتوبر نقلا عن راديو اسرائيل .. وفى ٢١ أكتوبر نشرت تحت عنوان "العمليات العسكرية للفدائيين الفلسطينيين" أهم العمليات التى قام بها الفدائيون أثناء حرب أكتوبر والأماكن التى وجهت إليها العمليات.

ولا يكاد الأمر يختلف كثيرا فى الجمهورية التى واظبت على نشر العمليات الفدائية التى قام بها الفدائيون الفلسطينيون خلال الحرب.

ولكن .. ابتداء من أول نوفمبر قل الاهتمام نسبيا بالعمليات العسكرية نتيجة الاهتمام الطاغى بمؤتمر السلام ومدى إمكانية مشاركة الفلسطينين فيه .. ومع ذلك فقد نشرت الصحف الثلاث بعض العمليات التى قام بها الفدائيون خلال الشهور التالية لاكتوبر. ويلاحظ قلة مواد الرأى التى تتحدث عن هذه العمليات العسكرية باستثناء الأهرام التى كتبت مرتين عن هذه العمليات خلال شهر نوفمبر وأيدتها معبرة عن الموقف المصرى المؤيد لاستمرار العمل العسكرى. كما نبهت الأهرام إلى ضرورة الحرص على الحيلولة دون أية محاولة للنيل من العلاقات الوطنية التى تربط القاهرة بالمقاومة الفلسطينية ودعم علاقة المقاومة بالاتحاد السوفيتى. فهما ركيزتان أساسيتان فى ضمان حل عادل لأزمة الشرق الأوسط يستند إلى ما أنجز فى حرب أكتوبر من تلاحم على الصعيد العربى ومن تأييد دولى حرك الأزمة من ركودها. والمطلوب الآن السير بمنجزات هذه الحرب حتى يستعيد العرب حقوقهم كاملة بما فى ذلك الحق المشروع لشعب فلسطين العربى..

ومنظمة تحرير فلسطين هى وحدها، كما تؤكد موسكو، الممثلة الشرعية للشعب الفلسطينى، لذلك تشكل المحادثات التى يجريها ياسر عرفات فى هذا الظرف فى كل من القاهرة وموسكو عنصر بالغ الأهمية فى تأكيد تماسك الجبهة العالمية المعادية للعدوان الاسرائيلى، واحتفاظها بالمبادأة ضد مناورات العدو فى المرحلة الحساسة القادمة(١٦).

كما أكدت الأهرام فى مقال افتتاحى آخر نفس الموقف السابق للسلطة المصرية من المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطينى بصفة عامة، وبعض مقتطفات من المقال توضيح ذلك.

إذ أوضحت أنه (من الأهمية بمكان أن تلتقى كلمة الدول العربية جميعها ودون أن ينطوى ذلك على حساسية لأية دولة عربية أيا كانت، على أن ممثل شعب فلسطين هو التنظيم الذى يضم فى صفوفه المقاتلين من شعب فلسطين الذين رفعوا راية المقاومة، ورفضوا فى أى وقت الانصياع لمخططات اسرائيل فى تصفية كيان فلسطين العربى كقضية شعب له حقه المشروع فى أن يقرر بنفسه مصيره داخل أرضه أى أرض فلسطين ذاتها.

ليس من شك فى أن الدول العربية جميعا حريصة على أن جميع شرائح شعب فلسطين العربى التى صمدت بشتى الصور للاحتلال الاسرائيلى لابد أن تكون لها كلمة فى تمثيل شعب فلسطين.

أما الجمهورية فقد أشارت فى إحدى افتتاحياتها إلى موقف مؤتمر القمة فى الجزائر الذى يرفض اعتبار وقف إطلاق النار الحالى مرادفا للسلام، مؤكدا أن المعركة مازالت مستمرة وأن شروط السلام هى الانسحاب الكامل من كافة الأراضى العربية المحتلة، وفى مقدمتها القدس واستعادة حقوق شعب فلسطين الذى تمثله منظمة التحرير الفلسطينية(١٧).

هذا وقد تركز معظم اهتمام الصحف المصرية بعد انتهاء أكتوبر أثناء حدثيها عن المقاومة على الموقف من مفاوضات السلام المزمع اجراؤها .. ويمكننا أن نرصد بعض النتائج من تتبع الصحف لمفاوضات السلام:

- اهتمت الأهرام كثيرا بجدوى العلاقات الفلسطينية السوفيتية باعتبار أن الاتحاد السوفيتى صديق لمصر والمقاومة معا. واهتمت الأهرام بزيارة وفد منظمة التحرير لموسكو ونتائج زيارته.
- أكدت الصحف الثلاث على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى.
- لم يكن هناك اتفاق محدد حول نوعية السلام ومدى تحقيقه لحقوق الشعب الفلسطينى: فقد نشرت الأهرام فى ١٩ نوفمبر مقالا للمؤرخ البريطانى ارنولد توينبى بعنوان "نظرة جديدة على أزمة الشرق الأوسط" يقترح فيه:
  - عودة اسرائيل إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧.
  - دولة فلسطينية لضمان حقوق شعب فلسطين.
  - تدويل القدس تحت إشراف الأمم المتحدة .. وقيام قوات يابانية بالمحافظة على السلام فيها.
  - وفى ٢٢نوفمبر نشرت تصريحات المسئولين فى المقاومة قالوا فيها إن تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ هو الحد الأدنى لمطالب المقاومة.
  - وفى ٣ ديسمبر نشر خبر قبول عرفات مشروع إقامة دولة فلسطينية نقلا عن راديو ليبيا وعادت فى اليوم فكذبته نقلا عن نفس المصدر!
  - وفى ٩ ديسمبر كانت عناوينها الرئيسية تتحدث نقلا عن مصادر مصرية رسمية أن مبادىء مصر فى حضور مؤتمر السلام تتضمن انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة وحق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته وتقرير مصيره.

نشرت الصحف كثيرا من الآراء المتضاربة دون أى تعليق مباشر .. وكان رأيها هو المحافظة على حقوق الشعب الفلسطينى والانسحاب من الأراضى المحتلة .. دون تحديد للمقصود من هذه المعانى "غير المحددة".

لكن الصحف الثلاث اتفقت – كصدى للسياسة المصرية الرسمية – على المطالبة باقامة حكومة فلسطينية فى المنفى من أجل الاشتراك فى مفاوضات السلام!

لم يكن الأمر قد تبلور تماما .. الشيء الوحيد الذى آمنت به السلطة السياسية هو أن القضية يجب أن تحل سلميا دون أن تحدد كيف يكون هذا الحل.

عاشرا : نشاط المقاومة الفلسطينية قبل المبادرة:

لرصد موقف الصحافة المصرية من المقاومة الفلسطينية بين عامى ١٩٧٥ – ١٩٧٨ فقد قسمنا هذه المرحلة إلى قسمين:

القسم الأول: هو ماقبل مبادرة الرئيس المصرى أنور السادات بزيارة فلسطين المحتلة فى نوفمبر ١٩٧٧.

القسم الثانى: هو ما بعد هذه الزيارة وحتى توقيع السادات لاتفاقية كامب ديفيد مع اسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٨، ثم توقيع المعاهدة المصرية الاسرائيلية فى مارس ١٩٧٩.

ويتضمن كل قسم رصدا لموقف الصحافة المصرية من:

١- المقاومة الفلسطينية بصورتيها العسكرية والمدنية.

٢- الصور الأخرى للمقاومة و أزماتها.

وقد شهدت هذه الفترة " ١٩٧٥ –١٩٧٨" عدة أحداث على درجة عالية من الأهمية كاشتعال الحرب الأهلية فى بيروت فى أبريل ١٩٧٥ .. والانتفاضات الفلسطينية المتتالية داخل الأراضى المحتلة .. حتى زيارة السادات وتوقيعه للصلح الانفرادى مع العدو الصهيونى.

- كان أبرز أحداث هذه الفترة التدخل السورى فى لبنان والمذابح التى تعرضت لها المقاومة الفلسطينية.
- أدانت الأهرام التدخل السورى فى لبنان ودور سوريا فى مذابح تل الزعتر.. وحظيت سوريا بأكبر قدر من الهجوم فى هذه الفترة ووصل الأمر فى ٧\٣١ إلى اتهام سوريا بإجراء اتصالات مع اسرائيل التى تبارك المخطط السورى فى لبنان. ولكن حقيقة الأمر أن هذا الموقف المصرى يتسم بعدم المبدئية فبعد أن تم الصلح

بين السادات والأسد اختلفت تماما نغمة الهجوم على البعث السورى وبدأ الحديث عن السلام من جديد (بعد أن تعرضت المقاومة لضربة شديدة).

- أدانت الصحف موقف الأردن أيضا ولكن بدرجة اقل من سوريا .. وطغى الهجوم على البعث السورى بعد ذلك حتى كاد الحديث عن الأردن يختفى تماما من الصحف الثلاث[١٨].
- لعبت الولايات المتحدة دورا كبيرا فى مأساة تل الزعتر. وكانت المآسى التى تعرضت لها المقاومة الفلسطينية فى لبنان. ومع ذلك فلم تنقل أى هجوم من الصحف المصرية فى هذه الفترة.. وذكرت بصورة ايجابية دائما.
- كان لإنهاء المعاهدة المصرية السوفيتية فى ١٤ مارس ١٩٧٦ أثر بارز فى الموقف من الأتحاد السوفيتى فقد تعرض لحملات من الصحف الثلاث بسبب مواقفه بعد الغاء المعاهدة.
- وبسبب العلاقة بين الصاعقة وسورية .. فقد اتهمت الأهرام الصاعقة بالعمالة والخيانة .. وذلك إما نقلا عن مصادر فلسطينية أخرى وأما بعيدا عن رأى الأهرام[١٩].
- أكدت الصحف المصرية على أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى لشعب فلسطين .. وأن لمصر منها موقفا مبدئيا لا يتغير رغم كل الخلافات المؤقتة.. وكان هذا التأكيد مقترنا بأشتراك المنظمة فى أى مجهودات سلمية لاقرار السلام فى المنطقة.
- وتكرر الحديث أيضا عن صيانة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .. وهو لايدل على شىء فى حد ذاته .. لأن السادات كان يصر حتى لحظة اغتياله على الإدعاء بأنه يعمل على صيانة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى !!
- أما وحدة العمل الفلسطينية فرغم تكرارها عدة مرات .. إلا أن الصحف المصرية لم تكن متحمسة كثيرا .. وغالبا ما استخدمت هذا الشعار لمواجهة سوريا أو الأردن .. أو رغبة فى احتواء العناصر المتطرفة فى بعض المنظمات الفلسطينية.

ولقد أبرزت التحليلات المسحية لمعالجات الصحف المصرية الثلاثة للانتفاضات العربية خلال عام ١٩٧٦ مجموعة من النتائج الهامة نوجزها على النحو التالى:

- عنف المقاومة العربية واستمرارها وتصاعدها فى وجه محاولات اسرائيل لضم الأراضى المحتلة.
- عنف القمع والأرهاب الاسرائيلى الموجه ضد المقاومة العربية، وإدانة هذا الأرهاب.
- تأكيد موقف مصر من المقاومة وتأييدها لهذا النضال المشروع.
- الاتجاه لمجلس الأمن باعتباره قادرا على وقف الارهاب الاسرائيلى!
- الربط بين الحل الشامل وأصول السلام وبين هذه المظاهرات والإنتفاضات العربية!
- كان الأهتمام بتغطية الأنتفاضات العربية متوسطا .. فرغم احتلال بعض أخبار الأنتفاضات الصفحات الأولى إلا أنها لم تبرز بما فيه الكفاية[٢٠].

حادى عشر: المقاومة الفلسطينية بعد المبادرة ديسمبر ١٩٧٧: سبتمبر ١٩٧٨:

تجاهلت الصحف المصرية الثلاث العمليات العسكرية للمقاومة الفلسطينية بعد المبادرة فلم تنشرها.. أو كانت تنشرها فى صفحات داخلية بعيدا عن الصفحة الأولى.. ولكنها فى ١٢ مارس ١٩٧٨ لم تستطع تجاهل عمل فدائى باهر قام به رجال المقاومة.. فقد كانت العملية من الأهمية بحيث اجلت زيارة بيجين لأمريكا على حد قول الأهرام.. كان عنوان الخبر الذى نشرته الصحف فى الصفحات الأولى "مصرع وإصابة ١٠٠ اسرائيلى فى تل أبيب فى معركة مع الفلسطينين المسلحين" ويتلخص منشرته الصحف فى أن بعض الفدائيين اختطفوا ثلاثة أتوبيسات واستطاعوا قتل حوالى ٣٠ شخصا وإصابة ٧٠ ويلاحظ على معالجة الصحف لهذا الخبر مايأتى:

١- استخدام كلمتى "فلسطينيين مسلحين" بدلا من "فدائيين فلسطينيين" فى عنوان الخبر.

٢- الأعتماد على وجهات النظر الصهيونية والعربية "تصريح بيجين + تصريح وايزمان + شهود العيان من الجنود والضباط الاسرائيليين + التليفزيون الاسرائيلي

+ وكالات الأنباء الغربية". أما الجزء الذى يوضح وجهة نظر منظمة التحرير فكان صغيرا جدا. واهم مافيه إعلان المنظمة مسئوليتها عن الحادث.

وقد استمرت الصحف الثلاث ملتزمة سياسة الحياد المغرض عن متابعتها للخبر فى اليوم التالى[٢١]. ولكن الذى يثير الغرابة هو رأى الأهرام فى تلك العملية الفدائية الباهرة.

* ففى ١٤ مارس كان رأى الأهرام "الدولة الفلسطينية هى الحل" ويتلخص الرأى فى أن العملية الفدائية التى قام بها الفلسطينيون داخل العمق الاسرائيلى دليل على أن كل وسائل الحماية الحديثة لا تقف عقبة أمام شعب يطالب بحقوقه المشروعة التى أقرها المجتمع الدولى ".. وأن إقامة الدولة الفلسطينية وعودة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى هى الطريق الوحيد أمام مناحم بيجين لكى يستعيد لشعبه آمنه واستقراره وبدون هذا الحل سيبقى أمن اسرائيل مجرد أحلام تعبث بها دعاوى السيطرة والعنصرية وستظل اسرائيل وشعبها أسيرة الفزع والهلع !!
* كما كتب على حمدى الجمال مقالا بعنوان "بعيدا عن الحساسية والحرج" ويركز فيه على:

- أن العملية الفدائية فى تل أبيب نوع من اليأس الفلسطينى نتيجة إصرار اسرائيل على تجاهل حقوقهم.

- وأن هذه العملية كانت بمثابة دعوى رسمية من الفدائيين لكى تهاجم اسرائيل جنوب لبنان!

وحول موقف الصحف المصرية من هذه العملية الفدائية سواء من ناحية التغطية الخبرية أو من ناحية الرأى والتعليق يمكننا ان نطرح هذه الملاحظات:

١- إن هذه الصحف أبدت حرصها على أمن واستقرار شعب اسرائيل أكثر من حرصها على المقاومة ومستقبل قضيتها فهى تطلب من بيجين "إعطاء" دولة للفلسطينيين لينجو شعبه من "الفزع والهلع"!

٢- إن الأهرام لا ترى فى العملية صمودا فلسطينيا واصرارا على مواصلة النضال المشروع من أجل قضيتهم العادلة بل ترى فيها "نوع من اليأس" علاجه عند اسرائيل ومناحم بيجين!!

٣- تحمل الأهرام الفدائيين الذين قاموا بالعملية مسئولية الغزو الاسرائيلى لجنوب لبنان!![٢٢]

٤- تابعت الصحف الحادث خبريا بتوازن وحياد .. واعتمدت على المصادر الاسرائيلية ووصفت الفدائيين بأنهم من "الرجال المسلحين" ولولا بعض الحياء والخجل "بالارهابيين"!

وعن الأعمال العسكرية الأخرى فقد استمر "عدم الاهتمام" فلم تعلق الصحف هذه على العمليات واكتفت بنشر هذه العمليات مثل "خبر" مصرع ثلاثة اسرائيلين وإصابة ٤ فى اشتباك مع الفدائيين جنوب صور ومصدر الخبر متحدث باسم جيش الدفاع الاسرائيلى.

ونشرت الأهرام يوم ١٧ أبريل ١٩٧٨[٢٣] خبر "مقتل وإصابة ٢٥ اسرائيليا فى انفجار قنبلة بأتوبيس"[٢٤] خبر "مصرع ٢ وإصابة ٤٧ اسرائيليا فى انفجار أسواق الرئيسية بالقدس"[٢٥]

لقد كان هذا التجاهل مواكبا لسياسة الصحافة المصرية تجاة المقاومة بعد المبادرة وهى سياسة تقوم على تشويه صورة المقاومة والتقليل من اهميتها.

ثانى عشر: الصورة الأخرى للمقاومة:

<u>ديسمبر ١٩٧٧ + سبتمبر ١٩٧٨.</u>

فى أول ديسمبر ١٩٧٧ كان رأى الأهرام هو "قمة الرفض ورفض القمة" يعلق على "الحركة المحمومة بين عدد من العواصم العربية التى قامت بها عناصر الرفض القابعة فى الشارع العربى. وترى الأهرام أن هذه الحركة موجهة ضد مصر وجهودها من أجل السلام والكيان الفلسطينى وليست موجهة ضد اسرائيل! وفى مقال زكريا نيل

بنفس العدد تركيز على المبدأ الرئيسى الذى تؤمن به مصر وهو "أن أى تحرك فى مبادرة السادات من أجل السلام سواء كان هذا التحرك فى القدس أو القاهرة أو جنيف يهدف إلى تسوية عربية اسرائيلية وليس مصرية اسرائيلية فقط، وان المحورين الأساسيين الذين أكد عليهما السادات هما:

١- تحرير الأراضى العربية التى احتلت فى حرب ١٩٦٧.

٢- إنه لا مساومة حول "المسألة" الفلسطينية وأنه يجب اعطاء الشعب الفلسطينى وطنا قوميا وان يكون له حق تقرير المصير.

وتحدث رائد عطار فى عموده اليومى "الموقف الراهن" عن رحلة السادات العظيمة للقدس وموقف الدول العربية منها أو دول الرفض التى "لاتريد حلا سريعا بل تمشى ببطء إلى مالانهاية" ويصور صلاح جاهين فى نفس العدد مصر "أم العرب" والعرب بجانبها طفل يلعب ويلهو .. ويعلق صلاح قائلا "يابنى ياحبيبى امشى جنبى وبطل تضييع وقت احنا مش فاضيين".

وتهاجم الصحف المصرية جهود الدول العربية الرافضة لمبادرة السادات وإن كان مايفعلونه يتم تحت "الحماية السوفيتية".

ثم يظهر كاريكاتير جاهين فى الأهرام[٢٦] يصور العرب بصورة رجل ضخم والسلام بصورة فتاة رقيقة كالملاك ويعلق قائلا "الظاهر لازم الأول نعمل مؤتمر السلام بين الفلسطينيين وبعض وبين البعثيين وبعض وبين العرب وبعض وفى الآخر بين العرب واسرائيل .." وفى اليوم التالى ٥ ديسمبر – كانت افتتاحية الأهرام بقلم على حمدى الجمال تحت عنوان "لعبة السوفيت الجديدة" يقول فيها ان الاتحاد السوفيتى يدرك جيدا أن نفوذه فى المنطقة سوف ينهار فى اليوم التالى لتوقيع اتفاق السلام مع اسرائيل لأن وجودها مرتبط بتوريد السلاح! وإن الاتحاد السوفيتى يلجأ إلى التفرقة بين العرب حتى لا يتم السلام ويستمر نفوذه!! ويصور جاهين فى نفس العدد العرب جميعا وكأنهم خونة! ولم يوضح يخونون ماذا .. وكيف؟ وفى اليوم التالى ٦ ديسمبر نشرت الأهرام خبر قطع مصر العلاقات مع سوريا وليبيا والجزائر والعراق واليمن

الجنوبية وذلك للرد على الموقف المشين لقيادات هذه الدول فى مؤتمر طرابلس بتجميد العلاقات مع مصر،، وهاجم رأى الأهرام العرب الرافضين الذى يريدون "ضرب مصر وضرب صمود الشعب المصرى" ويهاجم الأهرام العراق وسوريا والجزائر وليبيا بالتحديد مذكرا كلا منهم بمواقفه السابقة تجاه القضية الفلسطينية! ويرى صلاح جاهين بنفس العدد أن العرب "متخلفون" لا يفهمون شيئا. وفى ١١ ديسمبر نشرت الأهرام حديث السادات "لستامبا" الايطالية وفى الحديث قال السادات انه لا استقرار فى الشرق الأوسط بدون فلسطين وهاجم الدول العربية الرافضة جميعا!! وفى اليوم التالى نشرت الأهرام حديث السادات إلى ممثلى الصحافة الأوروبية والذى أشار فيه إلى "أن مصر لا تسحب اعترافها بمنظمة التحرير .. على العكس وجهت لها الدعوة لحضور المؤتمر".

ولم تهمل الأهرام الموقف الأمريكى "الجديد" فقد كان المانشيت الرئيسى فى عدد ٥ يناير ١٩٧٨ هو تصريح كارتر فى أسوان أثناء اجتماعه مع السادات بأنه "يجب حل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها وأن يشارك الفلسطينيون فى تقرير مصيرهم، وتعليقا على هذا التصريح كان رأى الأهرام أن كارتر تحدث عن نقطتين:

١- ضرورة الإنسحاب الاسرائيلى من جميع الأراضى التى احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧.

٢- حل المشكلة الفلسطينية من كافة جوانبها واقرار حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره.

وتقول الأهرام "ولوحظ أن الرئيس كارتر أدلى ببيانه مكتوبا ومحددا ولم يرتجله ولم يقله فى سياق ملاحظات جارية، مما يؤكد حرصا واضحا على الالتزام بموقف لايقبل التأويل". وفى رأى الأهرام تحت عنوان "الثورة الفلسطينية تأكل بنيها"[٢٧] شنت الأهرام هجوما على المنظمات الفلسطينية التى انساقت وراء قوى الرفض "كخطوة أولى على طريق الضياع السياسى" وذلك بمناسبة اغتيال سعيد حمامى فى لندن.

وقد استمرت الصحف المصرية طوال يناير وفبراير ١٩٧٨ فى ترديد نفس الكلمات حول إصرار مصر على الحل العادل والشامل للقضية وحرصها على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ... الخ. ثم جاء حادث اغتيال يوسف السباعى فى ١٩ فبراير ١٩٧٨ وقد كان هذا الحادث مناسبة للنيل من الثورة الفلسطينية .. فقد كان رأى الأهرام فى نفس اليوم تحت عنوان "الارهاب الأسود" تحدث عن اغتيال يوسف السباعى بيد بعض المنظمات الارهابية الفلسطينية "الذين يضيعون على الشعب الفلسطينى كفاحه النبيل والذين أساءوا من قبل ومازالوا يسيئون إلى الأهداف المخلصة للشعب الفلسطينى" ورغم أنه من حق الأهرام أن تدين اغتيال السباعى .. ولكن الذى ليس من حقها أن تحول نضال "بعض" المنظمات الفلسطينية إلى إرهاب" وتصفها بأنها منظمات ارهابية .. و "أنهم أساءوا من قبل للقضية". مع عدم تحديد أوجه هذه الاساءات الماضية .. ففى ٢٠ فبراير من نفس العام وبعد المغامرة الفاشلة للنظام المصرى الذى راح ضحيتها عدد من رجال الصاعقة اتهمت الأهرام بعض رجال المقاومة الفلسطينية بالاشتباك مع القوات المصرية فى قبرص! وفى خطاب السادات الذى نشرته الأهرام فى ٢٢ فبراير وصف قاتلى السباعى بأنهم "مأجورون" وأنه يقول للفلسطينين قبل الجميع: "سنرد الضربة بعشرة أمثالها" مع الاصرار الكامل أيضا على الانسحاب الكامل والمحافظة على حقوق الشعب الفلسطينى ...".

وفى ٢٥ فبراير كانت افتتاحية الأهرام بقلم على حمدى الجمال بعنوان "تصريحاتهم العميلة لن تنسينا فلسطين" ويقول فيها "عدد من قادة منظمة التحرير الفلسطينية أصيبوا بالضياع إلى الحد الذى فقدوا فيه القدرة على الادلاء بتصريحات لها مضمون أو معنى .. وقد انضم ياسر عرفات لهذه المجموعة فأدلى أمس بتصريحات تؤكد أنه لا يفهم مايجرى فى الساحة العربية أو أنه لمصلحه شخصية لايريد أن يفهم، ويمضى الجمال فى مقاله قائلا "إن ياسر عرفات إنتهى منذ أن وقع على السموم التى خرجت من مؤتمر الرفض الذى عقد فى طرابلس. ومع ذلك فمصر إيمانا بمسئوليتها ودورها القومى الطبيعى سوف تظل تناضل فى سبيل القضية الفلسطينية وللشعب

الفلسطيني ولاتحمل أخطاء رئيس المنظمة ونائبه وعملاء الأنظمة العميلة في المنطقة..." ومن كلمات الجمال يتضح:

١- أن قيادت المقاومة فى حالة ضياع لا يعرفون ماذا يفعلون.

٢- وان هذا مرتبط برفضهم للخط المصرى فى التسوية وانضمامهم إلى جبهة الصمود والتصدى الرافضة.

٣- وان المصالح الشخصية تتحكم فى قيادات المقاومة.

٤- وان الجميع عملاء .. المنظمات الفلسطينية عميلة للأنظمة العربية التى هى بدورها عميلة للأتحاد السوفيتى.

٥- وان مصر وحدها "تناضل" فى سبيل فلسطين!.

وفى ٢٨ فبراير اهتمت الصحف بمناقشات مجلس الشعب .. فقد طالب الأعضاء "بإعادة النظر فى أوضاع الفلسطينين المقيمين فى مصر" وهاجموا القيادات الفلسطينية التى باعت نفسها لجبهات الرفض" وإن مصر "سوف تتعامل معهم على هذا الأساس" ولم تهتم الصحف أن تنشر ماقاله الأعضاء الوطنيون فى مجلس الشعب بصدد تأييدهم للمقاومة ورفضهم لهذه المراجعة والانحراف الموجهة ضد الشعب الفلسطينى رغم المزاعم المتصلة حول الدفاع عن حقوقه واحترام رغبته فى تقرير مصيره!!

وفى ٣ مارس ١٩٧٨ نشرت الأخبار والأهرام والجمهورية حديث السادات مع إحدى محطات التليفزيون الأمريكية الذى قال فيه: "إن منظمة التحرير مسئولة عن جريمة اغتيال يوسف السباعى" وإن مصر لم تغير موقفها تجاه القضية الفلسطينية ولا سلام بدون حل المشكلة الفلسطينية! ورغم اتهام السادات فقد اشار فى حدثيه إلى: أنه لم يثبت بعد اشتراك الفلسطينين فى الهجوم الغادر على قوات الصاعقة المصرية فى قبرص" وتجاهل السادات أيضا إدانة مختلف المنظمات الفلسطينية لاغتيال السباعى. وفى نفس العدد الذى اتهم فيه السادات المنظمة قال الجمال فى مقال له بالصفحة الأولى: إنه لم يعد من المقبول أن تسكت مصر على الاسفاف والتصريحات غير المسئولة والتى تعدت كل المقاييس الأخلاقية واستمر فى حديثه مركزا على مايأتى:-

- أنه آن الأوان لكى تلقى مصر نظرة موضوعية على علاقاتها مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية.
- إن مصر هى الوحيدة التى وقفت مع قضية فلسطين منذ البداية.
- إن مصر لن تسكت على أخطاء قادة المنظمات وعلى كل مسئول فلسطينى أن يتحمل مسئولية التصريحات التى "يهذى" بها.

ولتأكيد "النضال" المصرى فى سبيل فلسطين أبرزت الأهرام فى صفحتها الأولى "كارتر يؤكد: حقوق الفلسطينين شرط للتسوية الدائمة،، ولم يهتم كارتر بالأشارة "إلى حق جميع دول المنطقة فى أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة معترف بها".

واستمرت الصحف المصرية فى سياستها العربية هذه. واتخذت موقفا "متوازنا" ومحايدا تجاه عمليات اسرائيل الارهابية فى جنوب لبنان بل انها نشرت يوم ١٦- مارس بيان مصر حول العدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان فى صفحة الوفيات.

وواصلت الصحف المصرية اهتمامها بتتبع أنباء الخلافات داخل المنظمات الفلسطينية ومن أبرز الأمثلة "السيطرة على محاولة انشقاق داخل حركة فتح"[٢٨] وإن هذا الانشقاق يتزعمه أبو داوود وعدد من أنصاره .. "الجبهة الشعبية تهدد المنظمة لقبولها وقف نشاطها العسكرى بجنوب لبنان". وفى ٣١ أغسطس جاء تقرير خاص للأهرام من داخل المجلس الوطنى الفلسطينى ذكر أن "عرفات يشيد بدور مصر ويكشف مخطط العراق ضد الفلسطينين" نقلا عن "المصادر الفلسطينية المطلقة .." إن عرفات أشاد "بالدور الايجابى والهام الذى لعبه الوفد البرلمانى المصرى برئاسة سيد مرعى لصالح القضية الفلسطينية خلال زيارة الوفد المصرى لأمريكا" ... "كما أن التقرير كشف دور العراق التخريبى تجاه منظمة التحرير الفلسطينية". وتأكيدا لهذا الاتهام التخريبى للعراق نشرت الأهرام بصفحتها الأولى بعد يومين: ٢/ ٨/ ١٩٧٨ "هجوم فلسطينى بالمدافع الرشاشة على سفارة العراق ببيروت، وذكرت الأهرام فى تفصيل الخبر، إن هذا الهجوم ضمن سلسلة الأحداث الناتجة من الخصومة العنيفة بين منظمة فتح وياسر عرفات من جهة وبين العراقيين المتطرفين من جهة أخرى،،

واستمرت الصحف فى متابعة تفاصيل الخلافات الفلسطينية والمبالغة فى إظهارها وأبرزها .. مع الاستمرار فى التأكيد على إصرار مصر على تسوية القضية الفلسطينية تسوية عادلة .. وبلغ الحمق بالأهرام الحد الذى جعلها تزيف أخبارا وهمية. منهما مانشرته فى ٢٦ سبتمبر "بيجن يعلن استعداده للتفاوض مع أعضاء منظمة التحرير اذا تم انتخابهم فى الضفة" مع المواظبة فى نشر تصريحات المسئولين المصريين التى تؤكد أن ماحدث فى كامب ديفيد ليس اتفاقا فرديا وإن مصر مصممة على حل القضية الفلسطينية.. (٢٩)

الخلاصة:

لوحظ أن الصحف المصرية قد انتهجت فى معالجتها للمقاومة بعد مبادرة السادات (نوفمبر ١٩٧٧) نهجا يختلف تماماعن الفترة السابقة ويتمحور حول:

١- الاغفال شبه الكامل للعمليات العسكرية الفلسطينية والعرض المتوازن للعمليات النادرة المنشورة، مع الاعتماد على المصادر الصهيونية فى نقل هذه الأخبار.

٢- عدم الاشارة نهائيا إلى الانتفاضات الفلسطينية داخل الأراضى المحتلة ضد زيارة السادات.

٣- محاولة الايهام بوجود انفصال بين الشعب الفلسطينى وقيادته .. وإن القاعدة العريضة للجماهير الفلسطينية تعترض على قيادتها.

٤- اللجوء إلى الابتذال فى مواجهة الرفض العربى شبه الجماعى لزيارة السادات. واتهام الدول العربية الرافضة بالعمالة والخيانة والتفريط فى قضية الشعب الفلسطينى!

٥- اتهام المنظمات الفلسطينية الرافضة للسياسة المصرية بالعمالة للدول العربية وعجز هذه المنظمات عن الحركة فى حرية.

٦- الالحاح على الموقف المصرى المناصر للقضية الفلسطينية، مع اغفال وجود أى سلبيات تترتب على زيارة السادات لاسرائيل.

٧- اتهام الاتحاد السوفيتى بأنه سبب الرفض العربى حرصا على مصالحه الذاتية، وتخفيف اللهجة العدائية ضد اسرائيل.

٨- استخدم كل الفنون الصحفية فى تحقيق الأهداف السابقة.

مما سبق يمكن استخلاص الملامح العامة لاتجاهات الصحافة المصرية نحو المقاومة الفلسطينية وقبل وبعد مبادرة السادات ونوجزها على النحو التالى:

أ – قبل المبادرة :

- الاهتمام بعنف المقاومة العربية واستمرارها وتصاعدها .. وادانة القمع الاسرائيلى وتأكيد موقف مصر "المبدئى" من المقاومة وتأييد نضالها المشروع .. والاشارة إلى قدرة مجلس الأمن على وقف الإرهاب الاسرائيلى والربط بين الحل الشامل وإقرار السلام وبين القضاء على هذه المقاومة ورد فعلها الارهابى.
- اتخاذ موقف معاد من الأنظمة العربية عند تقييم مواقفها تجاه المقاومة الفلسطينية، باعتبار هذه الأنظمة تتاجر بالقضية وتخونها وتعمل على تصفيتها.
- إدانة الاتحاد السوفيتى باعتباره حريصا على استمرار القضية بلا حل "لمصالحه الذاتية وأعتبار الولايات المتحدة الأمريكية وحدها قادرة على إنهاء" الصراع لانها تمتلك ٩٩% من أوراق اللعبة!.
- معاداة بعض المنظمات الفلسطينية التى تتخذ موقفا معاديا للسياسة المصرية أو موقفا مؤيدا لأحد الأنظمة العربية الأخرى.
- التركيز على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطيني.

ب – بعد المبادرة :

- تجاهل المقاومة العربية والعرض المتوازن عند التعرض للعمليات العسكرية الفلسطينية. ولم يعد الاهتمام منصبا على إدانة الارهاب الاسرائيلى بقدر "نصيحة" اسرائيل أن تسرع بحل القضية حرصا على أمن الشعب الاسرائيلى.

- استمرار معاداة الأنظمة العربية التى اتخذت موقفا رافضا لسياسة الرئيس السادات.. والتبدل الشديد فى معاداة هذه الأنظمة الخلو من أى عرض موضوعى لما يقوله هؤلاء الرافضون.

- استمرار معاداة الاتحاد السوفيتى وكشف سياسته الاستعمارية فى المنطقة!! والدفاع المستمر عن المواقف الأمريكية، رغم وضوح بعدها عن تبنى مصلحة الشعب الفلسطينى وحقوقه المشروعة.

- التأكيد على اعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى. ولكن مع الإيهام بوجود خلافات بين قيادات المنظمة والشعب الفلسطينى، مما يوحى أنهم لايمثلون هذا الشعب.

ومما تجدر ملاحظته أن التغيير فى موقف الصحافة بعد المبادرة كان تغييرا فى الدرجة وليس فى النوع .. ذلك أن هذه المبادرة ماهى إلا حلقة من مجموعة حلقات متصلة فى سبيل تصفية القضية الفلسطينية .. وخيانة حق الشعب الفلسطينى فى وطنه الشرعى .. وهو مايمثل خيانة حقيقة لمصالح الطبقات الشعبية فى مصر ويهدد المستقبل الوطنى كله.

دراسة حالة: مواقف رؤساء تحرير الصحف المصرية من المبادرة:

وعندما حاولنا إجراء مقارنة بين الآراء التى كانت يرددها رؤساء تحرير الصحف المصرية فى فترة الستينات ثم تحولوا عنها فى فترة السبعينيات، وخصوصا فيما يتعلق بقضية الصراع العربى الاسرائيلى توصلنا إلى بعض النتائج الأساسية التى يمكن تلخيصها على النحو التالى:

بالنسبة للصراع العربى الاسرائيلى:

أسفر التحليل الكيفى لمقالات موسى صبرى فى جريدة الأخبار خلال عامى ١٩٦٧، ١٩٧٧ عن المؤشرات التالية:

١- كتب فى ٢٩ أكتوبر ١٩٦٧ مقالا يرفض فيه الحل السلمى (الدبلوماسى) إلا فى حدود كونه يمثل مرحلة قومية أو خطة تكتيكية. ويرى أن القضية العربية لن تحل إلا على الأرض العربية ويؤكد أن ماتصر أمريكا على فرضه على العرب لايرضى أحدا ولن ينتج عنه حل شامل للمشكلة ولن يكون طريقا إلى حياة جديدة فى المنطقة كما يتصور البيت الأبيض. وإن الكفاح الدبلوماسى يهدف إلى منع العدو من أن يفرض شروطه علينا فهو هدف محدد لمرحلة محددة، لأن الحلول الدائمة هى التى تتفق مع طبيعة الأشياء. وينتقل فى مقال آخر إلى توضيح ماذا يعنى بالحلول الدائمة فيقول (إننا نعيش أياما فاصلة إما أن نثبت وجودنا وإما أن يلغى الأعداء هذا الوجود) ويطالب برفع شعار كل وحدة عمل ثورية، أى يجب أن تتحول الجبهة الداخلية وكل مواطن إلى قمة الاستعداد لمواجهة العدو الاسرائيلى فى الداخل بنفس القوة والاستعداد الذى ستواجهه به قواتنا المسلحة فى جبهة القتال[٣٠].

وعندما ننتقل إلى مقالات موسى صبرى فى السبعينات نراه يصف قرار السادات بزيارة القدس بأنه ضربة معلم وإن رحلة السادات إلى اسرائيل هى أخطر رحلة فى تاريخ منطقة الشرق الأوسط منذ ثلاثين عاما[٣١]. ويتهم موسى صبرى دول الرفض بأنها تتاجر بالقضية العربية، وتريد أن تدفع مصر دفعا إلى حل منفرد مع اسرائيل. ثم نفاجأ بترحيبه الحار بزيارة بيجن لمصر، إذ يقول تحت عنوان مرحبا بزيارة بيجن: (نعم الأحداث تجرى بسرعة ولم نكن نتوقع زيارة بيجن لمصر بهذه السرعة، وليس معنى ذلك أنه جاء ليرد الزيارة للسادات. ولكن جاء لأن عنده مايقوله. ولم يبق أمام المعارضة الاسرائيلية مفر إلا أن تخضع لارادة شعبها وتتعايش مع صفحة التاريخ الجديدة التى صنعها السادات[٣٢].

٢- يبدى مصطفى أمين حماسا ملحوظا فى تأييده لمبادرة السادات، إذ يرى أنها لاتعمل من أجل مصر فقط. ولكن من أجل العرب والفلسطينيين[٣٣]. ثم سرعان مايقع فى التناقض عندما يشير فى سائر مقالاته إلى أنه بالمال اليهودى والعبقرية المصرية نستطيع أن نبنى الشرق الأوسط من جديد. ولا يتعرض لمناقشة الفوائد

التى ستعود على الفلسطينين والعرب من المبادرة. بل يقتصر فقط على إبراز الجوانب الايجابية بالنسبة لليهود ويهاجم قوى الرفض العربية برميهم بشتى التهم، فتراه مثلا يقول (إن العرب يمقتون الديموقراطية ويعبدون الديكتاتورية ويرون فى تلقى الأوامر من موسكو عروبة ووطنية، وفى الاستقلال عن موسكو خيانة وطنية[٣٤] ويرى أن قوى الرفض العربية والفلسطينية تمثل أقلية مسحوقة. وليس من المعقول أن تتحكم فى أغلبية ساحقة برفضها لمعاهدة السلام.

٣- أما أنيس منصور فقد خصص العديد من المقالات التى ناقش من خلالها المبادرة بروح مملوءة بالتأييد الحذر والحرص على عدم الالتزام بمواقف محددة واضحة. ففى نهاية ١٩٧٧ يعتمد أنيس منصور فى كتاباته عن المبادرة على أسلوب الكر والفر والجمل التى لاتحمل رأيا. فهو يقول عن المؤتمر الصحفى الذى حضره السادات وبيجن (إن مصر لديها التزامات قومية بالمشكلة الفلسطينية والضفة الغربية وقطاع غزة والمنظمات الفلسطينية.. هذا الالتزام هو الذى جعل مصر ترفض أن تعلن ماتحقق فى لقاءات القدس والاسماعيلية[٣٥].

ويدافع أنيس منصور عن المبادرة بأسلوب فيه من الاعتذار أضعاف مابه من الاقتناع يقول (إن عذرنا الوحيد هو أن هذه المبادرة خطوة ليس لها نظير فى التاريخ. ولذلك فقد أخذتنا معها وبهرتنا وأربكتنا – لقد اكتسحتنا المبادرة واطاحت بأحلامنا ورؤوسنا ثم جاءت الأصداء من العالم كله فأخذنا الناس معنا وطرنا بهم إلى السماء)[٣٦].

ويعترف فى إحدى كتاباته بأنه كان من الأفضل أن ننتظر ونساوم اسرائيل على هذه الخطوة. ويبرر عدم الانتظار بأننا جادون فى السلام ولكن المشكلة متعددة الأطراف ومعقدة والناس مستعجلون ولذلك فإن النتائج سوف تأتى ولكن ابطأ مما يتصور الناس[٣٧].

ويؤكد أنيس منصور بأن موافقة أمريكا على إعطاء سلاح لمصر والسعودية لايعنى أن أمريكا لن تساند اسرائيل ولكنها سوف تساندها ولكن ليس إلى درجة الاضرار بمصالح الشعب الأمريكى فى الشرق الأوسط والعالم كله[٣٨].

٤- ويبدو محسن محمد أكثر ذكاء من زملائه فى إعلان تأييده للمبادرة، مع ابراز تحفظاته على موقف اسرائيل من خلال صياغات مدروسة ومحسوبة معا. إذ نلاحظ حرصه على نشر المواقف الاسرائيلية المتعنته والعدائية خصوصا ازاء الضفة الغربية ومنظمة التحرير الفلسطينية[٣٩]. ويتميز موقفه من الدول العربية الرافضة بأنه أقل عداء وحدة من زملائه الذين سبق أن استعرضنا مواقفهم. كما أنه يحاول أن يفند مواقف الرافضين فى هدوء ويبدى اهتمامه بتفسير الدوافع التى أدت إلى قيام السادات بمبادرته، فيستعيد الأزمة الاقتصادية وعدم وجود السلام ويركز على سبب آخر هو أن مصر تسالم لأنها ترى إسرائيل هزمت فى أخر الحروب العربية الاسرائيلية. وإن السلام قد استقر فى القلوب وبقى أن يتخذ شكله المكتوب فى اتفاق ونصوص[٤٠].

ومما يجدر ذكره أن محسن محمد لم يتعرض فى عموده اليومى لموضوع المبادرة منذ إعلان الرئيس السادات بأنه على استعداد لزيارة اسرائيل فى خطابه بمجلس الشعب وحتى ٢٨ نوفمبر. ولم يكتب عن المبادرة إلا يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٧٧. ثم استمر فى متابعة الموضوع من زواياه المختلفة من موقف موسكو من المبادرة ومؤتمر طرابلس وجبهة الرفض.

الهوامش

١. الأهرام ١٩٧٠/٩/٢٢
٢. الأهرام ١٩٧٠/٩/٢٣
٣. الأهرام ١٩٧٠/٩/٢٤
٤. الأهرام ١٩٧٠/٩/٢٨
٥. الأهرام ١٩٧٠/١٠/١٣
٦. الأهرام ١٩٧٠/١١/٣
٧. الأهرام ١١/٧، ٢٥ /١٩٧٠/١١
٨. الأهرام ١٩٧٠/١٢/٣
٩. الأهرام ١٢/٧، ١٢/٩، ١٩٧٠/١٢/٢٥
١٠. الأخبار ١٩٧١/١/٧
١١. الأخبار ١٩٧١/١/١٨
١٢. الأهرام ١٩٧١/٤/٥
١٣. الأهرام ١٩٧١/٥/١
١٤. الأخبار ١٩٧١/٦/١
١٥. الأخبار ١٩٧١/٦/١١
١٦. الأخبار ١٩٧١/٦/٩
١٧. الجمهورية ١٩٧٢/٩/٨
١٨. الجمهورية ١٩٧٢/٩/١٦
١٩. الأهرام ١٩٧٢/٩/١٢
٢٠. الأهرام ١٩٧٢/٩/١٨
٢١. الأهرام ١٩٧٣/١١/١٢
٢٢. الأهرام ١٩٧٣/١١/٢٨
٢٣. الأهرام ١٩٧٣/١١/٣
٢٤. الأهرام – الجمهورية –الأخبار مارس –أبريل ١٩٧٦
٢٥. الأهرام ١٩٧٦/٣/٢٠

obeikandl.com

٢٦. الأهرام شهور فبراير –مارس – أبريل ١٩٧٦
٢٧. الأهرام –الجمهورية –الأخبار ١٢، ١٩٧٨/٣/١٣
٢٨. الأهرام ١٩٧٨/٣/٢٢
٢٩. الأهرام – الأخبار ١٩٧٨/٤/١٧
٣٠. الأخبار ٢يوليو١٩٦٧، ٥ نوفمبر ١٩٦٧
٣١. الأخبار- ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧
٣٢. الأخبار –١٨ ديسمبر ١٩٧٧
٣٣. الأخبار –٢١ نوفمبر ١٩٧٧
٣٤. الأخبار ديسمبر ١٩٧٧
٣٥. الأهرام –٢٧ ديسمبر ١٩٧٧
٣٦. الأهرام –١٦ نوفمبر ١٩٧٨
٣٧. الأهرام – ١٦ نوفمبر ١٩٧٨
٣٨. الأهرام –١٨مايو ١٩٧٨
٣٩. الجمهورية – عمود من القلب – ١٩٧٧/١٢/٢٨
٤٠. الجمهورية – عمود من القلب – ١٩٧٧/١٢/٣٠

obeikandl.com